

# قضايا عالمية

الشرق الأوسط  
GLOBAL ISSUES

May - June 2005 | Volume 2 • Number 2

مبادرة الاتحاد الأوروبي تجاه لبنان والشرق الأوسط الجديد

خافيير سولانا

لبنان ونهاية عهد الاستثناء العربي

سكوت كاربنتر

## الأزمة اللبنانية.. عدد خاص

ملف حزب الله

تفاؤل أميركي غير مبرر بالديمقراطية في لبنان ريتشارد نورتون

لماذا يصرح حزب الله على حرب الهوية وضاح شرارة

الإرث اللبناني والورثة.. الحالة الشعبية فؤاد عجمي

الطائفية في لبنان

رضوان السيد جورج لبكي

السياسة في لبنان ودول الجوار

وجيه كوثراني وليد فارس نديم شحادة

وفي العدد أيضا:

بشارة مرهج سوسن الأبطح هشام ملحم علي الرز

سناء الجاك غسان العزي جوزف أبو خليل

## تفاؤل أميركي غير مبرر بالديمقراطية في لبنان

أغسطس ريتشارد نورتن

أستاذ العلاقات الدولية والأنثروبولوجيا . جامعة بوسطن

كان التوقع أن تنسب إدارة الرئيس بوش الفضل إلى نفسها بشأن ما يقرب من أيةبادرة تقدم تشير حتى من بعيد إلى الإصلاح السياسي أو الديمقراطية في الشرق الأوسط. هذا الاتجاه يتمشى جيداً مع «قاعدة» الرئيس جورج بوش الابن الذي يهتم فقط القليل من ناخبيه بتعقيدات التطور في الدول الإسلامية العنصرية على الفهم الدقيق. المحللون السياسيون والخبراء الأميركيون يفتقدون للأسف الإحساس بالديناميكية التاريخية. السياسية للأماكن البعيدة مثل مصر ولبنان. لقد سارعت الولايات المتحدة بدخول العراق بدون أي إدراك حقيقي لديناميكيات السياسة في هذا البلد، فحين سؤلت جوديث ياف Judith Yaphe الخبيرة المرموقة التابعة للحكومة حول إذا ما كان يوجد أي شخص في الحكومة الأميركية يفهم كيف يدار العراق سياسياً، أجابت: «لا يوجد ولا حتى شخص واحد».

بالنسبة للبنان فمن المؤكد أنه ليس «الثقب الأسود» مثل العراق، ولكن الاندفاع في التفكير المفرط في التفاؤل مع الاستبعاد المتهور للمتخصصين الأكاديميين. الذين تؤدي خبرتهم المعرفية في الأغلب إلى تعكير المياه والاضطراب بالنسبة لصانعي السياسات. غالباً ما يضمن سيادة منظور ومنهج اقتراب «الطيب ضد الشرير». في الأيام التي تلت اغتيال الحريري مباشرة، كان يبدو وكأنه بدلاً من البحث عن تلميحات سياسية دقيقة كما يميل إلى ذلك غالباً مراقبو الشرق الأوسط، على المرء أن يكتفي بالاستماع إلى Gary Cooper في برنامج High Noon لكي يفهم كيف تتعامل الولايات المتحدة مع الأزمة اللبنانية الراهنة. مع بواكير شهر مارس تنبه البيت الأبيض لأميرين: أولاً، ان لبنان ليست فيلماً سينمائياً، وثانياً، ان السؤال المحوري ليس: هل سيخرج بشار الأسد وعصيته من الهوة من لبنان في خزي أم سيبقون لمواجهة جورج بوش (الذي وبطبيعة الحال يعتمر قبعة رعاة البقر)؟ بدون استطراد، أصبح لزاماً على الرئيس بوش ومستشاريه الإمساك بتعقيدات قضية يثبت أنها اصعب بكثير مما كانوا يتخيلون في بداية الأمر.

### تآكل الهيمنة السورية

منذ عام 2000 هناك تراخ في قبضة سوريا حول لبنان ساهم في حدوثه موت الداهية حافظ الأسد (يونيو 2000) كعامل من العوامل، ولكن هناك تضخيماً في أهميته. وربما يمكن القول إن بشار الأسد يفتقر إلى صبر والده ومهارته الاستراتيجية، ولكن الحقيقة ان هيكل السيطرة السورية الشديدة على لبنان قد ضعف بشكل أساسي بالانسحاب الإسرائيلي الأحادي الجانب من لبنان. في الواقع إنه في الوقت الذي انتقد وهاجم العديد من المحللين الإسرائيليين قرار أيهود باراك الانسحاب من لبنان، خاصة بدون توقيع اتفاق ثنائي مع سوريا، فإن خروج إسرائيل من لبنان قد حرم سوريا من قدرة جدالية قوية بشأن الدفاع عن بقاء سيطرتها على لبنان. لقد كان ربيع عام 2000 الذي عاينته بنفسه في بيروت لا يصدق. لقد كان من المتوقع أن يتوصل حافظ الأسد والرئيس بيل كلينتون إلى اتفاق في جنيف في فبراير، ولكن قام باراك بسحب العديد من الأوراق المهمة من الطاولة وبالتالي عرقل التوصل لاتفاق. لقد كان ذلك بمثابة صدمة لكل من

بهية الحريري قد تصبح أول  
سيدة عربية تتولى رئاسة  
الوزراء في بلد عربي

بيروت ودمشق. ولقد أخطأ حافظ الأسد. المفترض فيه شدة الذكاء. حساباته بافترضه أن إسرائيل لن تنسحب أبداً من طرف واحد. وفي الأيام المفضية للانسحاب الإسرائيلي كان الوضع السياسي في سوريا ولبنان أشبه بمسرحية نسي الممثلون الرئيسيون فيها السطور المكتوبة، بل والتبست عليهم الأدوار، لقد كان هناك التباس مذهل. وحين انسحبت إسرائيل في مايو 2000 أبرزت سوريا بمساعدة مبدئية من رئيس البرلمان نبيه بري قضية مزارع شبعا لكي تبقى النيران مشتعلة في الجنوب، في ذلك الوقت كان المسؤولون الأساسيون في حزب الله لا يعلمون إلا أقل القليل عن مزارع شبعا التي لم تكن قضية مثارة على الصعيد الوطني حتى مارس 2000. بينما يشكل الوضع السيادي للمزارع نقطة نزاع لم تشكل قضية مزارع شبعا حتى الآن أية مبررات حقيقية في النزاع اللبناني. السوري، الإسرائيلي. فلا يوجد تساؤل كثير حول ملكية مزارع شبعا لأفراد لبنانيين بغض النظر عما إذا كانت تقع في لبنان أو سوريا، كما لا يوجد تساؤل كثير أيضاً حول أن تبعية المزارع لسوريا أو لبنان يمكن أن تحسم بشكل قانوني بين الحكومتين، على الرغم من أن ذلك لم يحدث حتى الآن.

الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب  
• وليس تظاهرات المعارضة. أدى  
إلى انسحاب سورية الأخير من  
لبنان، لأنه أضعف هيكل سيطرتها  
القابضة عليه

لقد كان عام 2000 عام احتفالات في لبنان، إلا أن الاحتفالات بدأت في الانسلاخ من هذا العام، لما قامت إسرائيل بسحب الخلاف القائم حول ثقل دور سوريا في لبنان. وأعطت استراتيجية حافة الهوية التي كان يقوم بها حزب الله في شبعا. من الواضح أنها تعدلت للبقاء على مستوى الضغط على إسرائيل، وازدهار السمة البارزة لسوريا. انتباهاً دولياً واضحاً لاستمرار إسرائيل في سياسة سجن المئات من اللبنانيين، كان من ضمنهم الشيخ عبيد، وزعيم المقاومة مصطفى ديرانى. ومع ذلك، غالباً

ما كانت تصف أعمال حزب الله بالبراعة. وفي الغرب، خاصة في الولايات المتحدة الأميركية، في الغالب اختفت الفروق الدقيقة للتعليقات على الهجمات على شبعا. ولكن الشيء الذي أخذ الأهمية، خاصة في واشنطن، هو الانصياع الإسرائيلي للقرار 425، حتى بدا أن الهجمات على شبعا كانت غير مبررة، بل وطائشة. وما فقد في العملية في الغالب كان الاقرار بأن الحدود بين إسرائيل ولبنان كانت بصورة أو بأخرى هادئة، تلك حقيقة كانت خارج توقعات أكثر المتفائلين من العديد من الخبراء في ربيع عام 2000.

داخل لبنان، بينما حافظ حزب الله على القاعدة المثيرة من التأييد بين الجاليات الشيعية، غالباً ما نظر لبنانيون آخرون إلى العنصر المسلح للحزب بقلق وامتنعاض. كان بالتأكيد صحيحاً أن رفيق الحريري الذي انتقد حزب الله علانية (من خلال جهازه الإعلامي الناطق بلسانه. تلفزيون المستقبل) لم يترك مجالاً للشك حول رأيه في حزب الله على أنه مدفع جاهز للانطلاق قد يعرض استعادة الاقتصاد اللبناني وحتى سلامه للخطر. ورأيي الشخصي، لشخص تابع تطور مراحل حزب الله على مدار عشرين عاماً تقريباً، هو أن الحزب وزعيمه الموهوب بالغا في الانتصار للغتهم الطنانية بعد عام 2000. فعلى الرغم من نجاح بعض الآراء، خاصة عملية إطلاق سراح سجناء عن طريق التفاوض، أصبح ذلك خارج الرؤية الاستراتيجية. وفي الوقت ذاته، كان واضحاً أن سوريا، يمكن القول بشار الأسد، لم يقم بمراقبة جدية لحزب الله. كل هذا أثمر عن مشاعر العداة لسوريا وحزب الله داخل حكومة الولايات المتحدة الأميركية.

## النسيج الاجتماعي المتغير

في الوقت ذاته، تغير النسيج الاجتماعي في لبنان من خلال بعض طرق لها مغزى كبير، لم تساعدنا فقط على أن ندرك أن حزب الله استطاع أن يكون ناجحاً بدرجة كبيرة، بل أيضاً لكي ندرك مدى صعوبة العملية الطائفية الداخلية الآن عما كانت عليه منذ عقود مضت. فلست الشاهد الوحيد على الحرب الأهلية الذي قام بمراقبة العملية الطائفية، فهي أكثر وضوحاً اليوم في لبنان عما كانت

لحود لعزل الحريري من منصبه في عام 1998، كان الكثيرون من اللبنانيين سعداء بوجوده خارج السلطة وبدرجة متساوية، كانوا سعداء بعودته عام 2000، عندما فوجئ اللبنانيون بأنهم قادرون على إفشال خطط انتخابات تم الإعداد لها مقدماً. وكانت خيبة الظن في حكومة رئيس الوزراء سليم الحص شديدة، خاصة بسبب عدم قدرتها على التكيف مع الفوضى الاقتصادية التي ورثتها عن الحريري. حتى التبعية المضربة لسوريا لم تسعفها.

قبيل إجراء الانتخابات، بات وميض الحريري واضحاً جداً. فقد راقب اللواء غازي كنعان ذو الشعبية القليلة، المبعوث السوري في بيروت، عملية السحب في المناطق الانتخابية للسماح بانتصارات فورية لتمام سلام، ابن رئيس الوزراء الأسبق، سليم الحص، صاحب المنصب، ورفيق الحريري. وكانت المقاعد العشرة ستوزع على ثلاثة سياسيين رئيسيين من المسلمين السنة بالعاصمة. وقام المستثمرون الأذكيا بالرهان على أن نجيب ميفاتي من طرابلس، والمعروف بصلاته القوية مع سوريا، سوف يتراأس الحكومة الجديدة. وأربكت الانتخابات خطة اللعبة. وأثبت الحريري بأنه قوة ساحقة ماحقة. فقد حصل على 19 مقعداً في بيروت، وتغلب على منافسيه الرئيسيين من المسلمين السنة، وتركت العشرة مقعداً خالية لمسلمي الشيعة من حزب الله. وحصل الحريري على 79.000 صوت، أكثر من أي مرشح في عام 2000. وكان الحريري حذراً في السعي إلى إقامة علاقات وطيدة مع سوريا، بالإضافة إلى نائب الرئيس عبد الحليم خدام، الذي تولى ملف لبنان حتى قام الرئيس حافظ الأسد بتمرير المنصب إلى ابنه. التقارير الصحافية اشارت إلى علاقة حميمة وجيزة جداً مع بشار الذي كان قد وعده الحريري بتخصيص مبلغ 400 مليون دولار كاستثمار أجنبي لسوريا، إلا أن هذا التقارب لم يكتب له البقاء والاستمرار.

## تمديد رئاسة لحود

بشار: أفضل قلب لبنان على رأسي  
الحريري وجنبلاط على أن ترد كلمة  
سورية في لبنان. ومعارضة التمديد  
للحود تعني المعارضة السورية. هكذا  
قال تقرير فيتزجيرالد.

تميزت السنوات التالية وحتى استقالة الحريري في أكتوبر (تشرين الأول) 2004 بالتجمد والاحباط والارهاق السياسي والعداوة المتبادلة بين الحريري ولحود. أما لحود المعروف بأنه وكيل بشار الأسد فقد نجح في تأمين ممتلكات خصمه. فعلى سبيل المثال بالرغم من تولي رئيس الوزراء رئاسة اجتماعات مجلس الوزراء بموجب اتفاقية الطائف 1989، فقد اعتبر لحود ذلك حقاً له، وكثيراً ما قام لحود بإلغاء جدول الحريري الزمني لاجتماعات مجلس الوزراء فجأة.

ووفقاً للدستور اللبناني فإنه لا يحق لأي رئيس دولة أن يحكم لفترتين متتاليتين. ولم يخض الحريري معارضته للمساندة السورية لخطط تمديد حكم لحود لفترة أخرى. وكما يؤكد تقرير «فيتزجيرالد» للأمم المتحدة فقد أخبر الرئيس الأسد الحريري في المقابلة التي استمرت عشر دقائق في دمشق أن معارضة التمديد للحود تعني معارضة الرئيس السوري. وقال بشار للحريري حينئذ انه يفضل قلب لبنان على رأسي الحريري وجنبلاط على أن يرى كلمته ترد في لبنان. وحسب ما جاء في التقرير فقد هدد بشار الأسد كلا من الحريري وجنبلاط بالحقاق أذى جسدي بهما في حال معارضتهما للتمديد. وتداولت بيروت كلها أخبار تلك المواجهة المختصرة في ذلك المساء حيث حدد رئيس الوزراء السابق سليم الحص اللحظة الفاصلة حينما التقينا تلك الليلة قائلاً «الأمر منته».

وفي سبتمبر (أيلول) تم تمديد فترة حكم الرئيس لمدة ثلاثة أعوام أخرى. أما معارضو الحريري مثل فؤاد مخزومي السني ذي الطموحات السياسية الذي كون ثروة من أنابيب البترول، فكان يرى في

عداء إدارة بوش له «حزب الله»  
وسورية نتيجة لمبالغة نصر الله ولغته  
الطنانة في الانتصار على إسرائيل.  
وكذلك لفشل سورية في السيطرة على  
أنشطة الحزب

عليه في السنوات السابقة للحرب. وهناك أسباب عديدة لهذه المشاعر الطائفية المتزايدة، التي قام بتحليلها بدقة عالم الاجتماع القدير سليم نصر.

أولاً، اللبنانيون يعيشون الآن على أقل تقدير وسط جاليات مختلطة طائفيًا عما كانوا عليه قبل الحرب. فلينان، باختصار، كان أكثر تجانساً اجتماعياً في عام 1975 مقارنة بعام 2005. وزيارة قصيرة إلى منطقة الحمراء تعرض لهذا التحول. فيما كان المسيحيون والمسلمون يعيشون عادة في شقق متقاربة من بعضها، أما اليوم فالمسيحيون

يقيمون في الجانب الغربي من بيروت. في الواقع فالأجواء في الحمراء اليوم أجواء مسلمة سنية. والقالب الاجتماعي في أنحاء لبنان كان في السابق يتكون من جاليات متغايرة، أصبح الآن أكثر تطابقاً بدرجة ملحوظة.

ثانياً، يعقد اللبنانيون أمالاً كبيرة على فترة ما بعد الحرب، التي خيبت ظنهم. الأمر الذي عجل بالهجرة. النزوح الدماغي. والذي استلزم رحيل المسيحيين، على نحو غير متجانس. ومع دولة تغلب عليها حالة الركود الاقتصادي، فالوصول إلى المحسوبة أصبح أمراً مهماً جداً. والنتيجة هي أن الزعماء الجدد، مثل نبيه بري وآخرين قد استعادوا السلطة لكونهم أوعية للهبات والعطايا من أجل المنفعة. ثالثاً، تمتعت المؤسسات الدينية بإحياء أهميتها، كما وضح من خلال النفوذ المتنامي للماروني البطريرك صفيير، والمفتي الأكبر محمد رشيد قباني والشيخ عبد الأمير قبلان رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى. وهناك عاملان مهمان يوضحان هذه الأهمية للمؤسسات والشخصيات الدينية. الأول، بوضوح، هو أن إحياء شأن المؤسسات الدينية إن دل على شيء فإنما يدل على الطائفية المتنامية. ومع ذلك، وبالتساوي في الأهمية، هو الآثار الجانبية للمساحة السياسية المشوهة، حيث أعادت الهيمنة السورية تطور الشخصيات السياسية. وفي مناخ يكثر فيه المتملقون الموالون لسوريا، تتضائل فرص ظهور رجال ونساء كقيادة سياسية من الكيان الحقيقي. هذا الإرث من الهيمنة السورية انعكس بوضوح على قلة المرشحين لمنصب عمر كرامي. ومهما كانت أخطاؤه، فقد أمن رفيق الحريري أساساً بالديمقراطية، الأمر الذي لم يكن مفاجئاً من خلال قصة نجاح شخصية. وإني لأتذكره في أغسطس عام 1997 عندما كان في مكتب رئيس الوزراء المؤقت بالقرب من الحديقة الصغيرة السناية ببيروت، وكنت أسأله عن رأيه في الفساد الذي كان متفشياً بإفراط آنذاك، كما هو الآن، نظر إلي بحزن وقال: «هناك بعض من المجرمين في مجلسي ويجب أن يسجنوا ولكني لا أستطيع عمل أي شيء حيال ذلك». كان تعليقه يعكس الفساد المتفشي (وصيف المحسوبية). والدور الواقعي لسوريا، فإذا ما كتب للبنان أن يزدهر اقتصادياً، فما كان لشوكة الزعماء أي قوة، لأن محسوبيتهم ستكون أقل أهمية من النهضة الاقتصادية للبنان. وبدلاً من ذلك، تعرض الاقتصاد للخطر، وانفجر التوظيف الحكومي. ففي عام 1974 قامت الحكومة بتوظيف 75.000 شخص، وبحلول عام 2000 قفز الرقم إلى 200.000 في دولة سيئة السمعة فيما يتعلق بسوء الخدمات الحكومية.

## علاقة حب وكره لبنان بالحريري

على الرغم من أننا غالباً ما ننسى هذه الأيام الذكريات القصيرة، فقد تقلد رفيق الحريري منصب رئيس الوزراء لأول مرة في لحظة تفاؤل كانت في أجزاء كثيرة من الشرق الأوسط. ففي عام 1992 كان لا يزال هناك جناح دبلوماسي في أشرعة مؤتمر مدريد. بينما كانت أصوات الرفض عالية بشدة لاتفاقية أوسلو في دمشق وبالتالي في بيروت. وكان لا يزال هناك أمل كبير في أن تكون المنطقة على طريق السلام. وقد كانت هناك مقدمة منطقية من طموحات غير عادية، وإعمار باهظ الثمن لوسط بيروت، وإعادة بناء البنية التحتية للبنان، في الواقع، لنجاح عملية السلام. وبدلاً من ذلك، وجد اللبنانيون أنفسهم مثقلين بالديون العامة والشخصية. حتى أنه عندما كان يخطط الرئيس إميل

التمديد سبيلا للتخلص من الحريري سياسيا فقد كان من المتوقع استقالته في حالة التمديد. وبعكس التمديد للرئيس إلياس هراوي في عام 1995 الذي لم يثر إلا معارضة طفيفة في لبنان ولم يلفت أجهزة الرصد العالمية فقد وجد التمديد للحدود نطاقا واسعا من الكره والمعارضة في لبنان. واستمرت سوريا في الضغط. كان رد الفعل أن تحدث كل من أميركا وفرنسا بصوت واحد وصدر قرار مجلس الأمن رقم 1559. وينادي القرار فعليا بانسحاب القوات السورية من لبنان ونزع سلاح حزب الله. ومع أخذ العلاقات القوية بين الحريري ورئيس فرنسا جاك شيراك في الاعتبار كان هناك العديد من التكهات حول دوره في تشكيل القرار.

**بروز دور البطريرك والمرجعيات  
الدينية على الساحة السياسية  
ينذر بتنامي الطائفية .**

وكتيجة مباشرة للتمديد للرئيس لحدود غير المحبوب بدأت المعارضة السياسية في صنع ائتلاف يتركز تحديدا حول جنبلاط المسؤول شخصيا عن سلسلة من المقابلات في فندق «برستول» الأنيق ببيروت. ومع أن الحريري لم يحضر إلا انه من المعروف ان العديد من أصدقائه ووسطائه كانوا بين الحاضرين. وترجمت محاولة اغتيال مروان حمادة حليف جنبلاط عالميا كإنداز للحريري خاصة والمعارضة عامة. فقد كان حمادة من النواب التسعة والعشرين الذين صوتوا ضد التمديد (على عكس معسكر الحريري الذي صوت لصالح التمديد). وعلى مدار الشهور التالية وبالرغم من التهديدات السورية أصبح للمعارضة كثافة واضحة وكان من المفهوم أن القائد الفعلي للمعارضة هو الحريري. فقد بلغت ثقته ما يكفي لإخباره رستم غزالة في يناير (كانون الثاني) 2005 أنه لن يقبل أي مرشحين سوريين في قائمته للانتخابات القادمة المحدد موعدها في مايو (ايار). فأجاب رستم ببرود «عليك أن تفكر في الأمر علينا أن نفكر فيه». وفي رأيه أنه يجب فهم اغتيال الحريري في 14 فبراير (شباط) في إطار وضعه كعملاق المعارضة. ودون مناقشة المسؤول عن عملية القتل نفسها فلا شك أن الشخصيات السياسية الموالية لسوريا وحلفاءهم كانوا يدركون أن الحريري يمثل تهديدا لاستمرار وجودهم السياسي. وفي يوليو (تموز) سيصدر تقرير لجنة التحقيقات المكلفة بتاريخ 7 ابريل (نيسان) من مجلس الأمن. وسيكون مفاجئا أن يأتي تقريرها شديد الاختلاف عن التأملات المقترحة هنا. أيا كان الذي ستظهر مسؤوليته عن التخطيط فالنتيجة أن تغيرا عميقا قد ألم بملامح العلاقة بين سوريا ولبنان.

## المستقبل

في واشنطن أثارت الموجة الأولية من المظاهرات التالية لموت الحريري والتسعة عشر شخصا الآخرين الكثير من الارتياح والتهنئة الشخصية على ذروة الحمى للتيار الديمقراطي الذي أطلقه جورج بوش. الموقف اللحظي والذي أدى للقرار 1559 ولكن تطور الأحداث في لبنان دفع الولايات المتحدة لتراجع قليلا. وبعد أن أطلق حزب الله مظاهراته المهمة في مطلع شهر مارس (آذار) حينما نزل 400000 شخص أو أكثر ببيروت معظمهم من المسلمين الشيعة للتعبير عن امتنانهم لسوريا، أصبح اللبنانيون يتحدثون بأكثر من صوت واحد. ومع ان الهيمنة السورية أثارت غضب الكثير من اللبنانيين إلا أنه ليس الأمر كذلك مع كل اللبنانيين. وهكذا حتى بعد انسحاب القوات العسكرية السورية وأجهزة المخابرات المعلنة ستبقى العديد من الروابط مع سوريا لتحتفظ بتأثير على لبنان. فبالإضافة إلى شبكة التنسيق الاستراتيجي بين حزب الله ودمشق وبالإضافة إلى دائرة الحلفاء الطيعين بما في ذلك الرؤساء الثلاثة الحاليون اميل لحود ونبيه بري وعمر كرامي فالدولتان تربطهما روابط عمل شرعية وغير شرعية من الاعتماد اللبناني على العمالة السورية

الرخيصة وشبكات من الزيجات والقرابة الاقليمية (كما في الشمال والبقاع). وبالرغم من انه خلال النزال الواضح في المظاهرات التي غلبت على شهر مارس في بيروت، واكتساح المعارضة في مقابل حزب الله بعد أن تجمع ما يصل إلى مليون شخص في ميدان الشهداء بما في ذلك العديد من المسلمين السنة الذين استفزهم استعراض القوة الذي قام به حزب الله فقد انتهى الشهر بإدراك متبادل أنه لن يكون الفوز من نصيب المعارضة ولا أقوى العناصر الموالية لسوريا. وحتى إذا قام برلمان جديد بإلغاء قرار التمديد للحدود، وهو بالتأكيد شيء ممكن حدوثه، حتى لو اختزل نبيه بري إلى مجرد نائب وهو شيء محتمل، حتى لو اختفى كرامي تماماً، وهو شيء لا يمكن تلافيه، لن تنقطع خيوط العلاقة اللبنانية السورية. وبهذا الشكل ففي الشهور التالية سيكون اختزال التأثير السوري في لبنان وليس القضاء عليه هو المتوقع. وهذا تطور إيجابي في نظري ولكنه أقل بكثير مما في مخيلة زعماء القرار في واشنطن.

ولهذا فإنه من المهم التفرقة بين اختفاء مظاهر الهيمنة السورية ونطاق تأثيرها الفعلي. وبمعنى مهم فسوريا ضرورية للمعارضة لأنه بدون المعزوفة الموحدة من المشاعر المعارضة لسوريا فمن غير الممكن أن تحافظ المعارضة على ترابطها كظاهرة واحدة. ستبقى الانقسامات داخل صفوف المعارضة مخفية حتى نهاية الانتخابات ولكن ظهور هذه الانقسامات جلية في الفترة التالية للانتخابات أمر محتوم.

فالجنرال المنفي ميشيل عون يعد لعودته القوية للبنان ربما لتتزامن مع انتخابات مايو. وتاماً مثل الراحل ريمون اده فشهرة عون تزايدت كثيراً في غيابه.

نتذكر أن عون كان يتخبط بشدة في أواخر الثمانينات. فقد أظهر ولعه في المبالغة باللعب بيديه. وكان رئيساً للوزراء بالنيابة عام 1988. عندما حاولت الولايات المتحدة الأميركية بحماقة الوساطة في الانتخابات الرئاسية لكي يحل محل أمين الجميل.

في البداية، كان عون يحدوه الأمل الكبير في شرق وغرب بيروت، وقد لاقت خطواته الأولى تجاه الكتائب استحساناً كبيراً. إلا أنه ارتكب خطأ جسيماً، في فشله في التواصل مع الجاليات السنية والشعبة والدروز وبدلاً من ذلك، قام بأعمال عنف رهيبية تجاه مواطنيه في الغرب واتخذ قراراً متهوراً للبدء في «حرب التحرير» ضد سوريا التي لم تلق تأييداً من اللابعين الرئيسيين في الخارج، وافترق حتى إلى وسائل النجاح. وفي النهاية، بات منعزلاً ومحاصراً في القصر الرئاسي في بعبداء بعد أن ابتعدت عنه واشنطن والكثير من اللبنانيين. هذا هو الرجل الذي يستطيع أن يفرط في احساسه بقوته، ومن ثم فسوف يكون من الصعب أن نرى إذا كان قد تعلم من أخطائه.

**سورية أثار قضية مزارع شبعا بعد أن سحبت منها إسرائيل ورقة العدو الموجود على الأراضي اللبنانية، بانسحابها المنفرد من الجنوب، الغريب أن قادة «حزب الله» لم يكونوا يعلمون بهذه القضية حتى مارس 2000.**

فالمسألة برمتها تكتسب أهمية لأن عون لديه فرصة جيدة جداً لكي يصبح رئيساً للجمهورية إذا ما ألغيت فترة لحدود غير المبررة. وفي الوقت ذاته بالطبع، تعمل جماعة عين التينة التي تقع تحت وصاية بري على تأجيل الانتخابات على أساس أن كسب الوقت قد يؤدي إلى انشقاقات بين صفوف المعارضة، وعلى أساس التقييم الواقعي أنه إذا ما اشتملت الانتخابات على الكثير من النواب الموالين لسوريا فسوف يخسرون مقاعدهم على الأرجح. فالقصة كلها عن البقاء السياسي.

إلا أن التأخير قد يؤجل فقط ما هو جلي بين. فعلى الأرجح سوف تصدق الانتخابات على صعود بهية



الجميع في تشييع جثمان آخر رفاق الحريري.. الوزير باسل فليحان

الحريري، شقيقة رئيس الوزراء الراحل. ففي مظاهرة الرابع عشر من مارس الضخمة، كانت بهية السياسية الأولى والوحيدة التي صمت الحشد من أجل الاستماع لها. فمن الممكن جداً أن تكون هي أول رئيسة وزراء عربية. وفي الوقت ذاته، قام دافيد سترفيلد، الدبلوماسي الأميركي البار، السفير الرسمي للولايات المتحدة الأميركية، وهو الآن نائب مساعد وزيرة الخارجية الأميركية، اتخذ من السفارة الأميركية مقاماً له في عوكر عندما حاول إدارة الأزمة. وسرعان ما أدرك سترفيلد أن القرار رقم 1559 غير قابل للدفاع عنه، خاصة منذ أن انخفضت أصوات المعارضة، بدءاً من وليد جنبلاط ونسيب لحود ومروراً ببهية الحريري حتى البطريرك، التي كانت تطالب بنزع أسلحة حزب الله ودعت بدلاً من ذلك إلى الحوار (كما فعلها نصر الله وآية الله محمد حسين فضل الله).

وكانت الحلول المبدعة التي اشتملت على الترتيب إلى العناصر المسلحة لحزب الله لكي تكون ملحقاً احتياطياً للجيش اللبناني، والشخصيات القيادية في الحزب، مشتملة على محمد رعد والشيخ نعيم قاسم، كانت قد احتضنت من قبل الفكرة. وإذن، وعلى الرغم من اللغة ذات النبرة العالية المناوئة لحزب الله، يبدو أن واشنطن وجدت نفسها أنها قد قبلت حلاً يقضي بإعطاء حزب الله صفة الشرعية، كفاعل رئيس في النظام السياسي.

وفي حين أن إعادة استقلال لبنان ستكون إنجازاً ضخماً، لذا فمن الأرجح أن يحمل الحل السياسي الناشئ صورة جزئية فقط للحكومة الموالية للولايات المتحدة الأميركية، التي يتخيلها البعض في واشنطن. وعلى وجه الخصوص، في الديمقراطية اللبنانية العائدة للحياة من جديد، فمن غير المحتمل أن تجد الولايات المتحدة الأميركية مصادقة كبيرة لمشروعها السياسي في منطقة الشرق الأوسط، سواء في فلسطين أو في الجارة سوريا.